

## سورة قريش

{ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ } \* { إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ } \* { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا  
الْبَيْتِ } \* { الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ } (1-4)

قريش: علم اسم قبيلة، وهم بنو النضر بن كنانة، فمن كان من بنيالنضر فهو من قريش  
دون بني كنانة. وقيل: هم بنو فهر بن مالك بن النضر، فمن لم يلدده فهر فليسبقريشي.  
قال القرطبي: والقول الأول أصح وأثبت، وسموا بذلك لتجمعهم بعد التفرق، والتقريش:  
التجمع والالتتام، ومنه قول الشاعر:

إخوة قرشوا الذنوب علينا في حديث من دهرهم وقديم

كانوا متفرقين في غير الحرم، فجمعهم قصيين كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكناً، ومنه  
قوله:

أبونا قصي كان يدعى      به جمع الله القبائل من  
مجمعا      فهر

وقال الفراء: القرش: التكسب، وقد قرش يقرش قرشاً، إذا كسب وجمع، ومنه سميت  
قريش. وقيل: كانوا يفتشون على ذي الخلة من الحاج ليسدوها، والقرش: التفتيش، ومنه  
قول الشاعر:

أيها الناطق المقرش عنا عند عمرو وهل لذاك بقاء

وسأل معاوية بن عباس: بم سميت قريش قريشاً؟ فقال: بدابة فيالبحر أقوى دوابه يقال  
لها القرش، تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلق، ومنه قول تبع:

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا      يأكلون البلاد أكلاً

تأكل الغث والسمين ولا تترك فيها لذي جناحين ريشا كميشا ولهم آخر

هكذا في البلاد حيّ قريش الزمان نبي

وفي الكشف: دابة تعبت بالسفن ولا تطاق إلا بالنار. فإن كان قريش منمزيد فيه فهو تصغير ترخيم، وإن كان من ثلاثي مجرد فهو تصغير على أصل التصغير. الشتاء والصيف فصلان معروفان منفصول السنة الأربعة، وهمزة الشتاء مبدلة من واو، قالوا: شتا يشتو، وقالوا: شتوة، والشتاء مفرد وليس بجمع شتوة. {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ \* إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ \* فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ \* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ}. هذه السورة مكية في قول الجمهور، مدنية في قول الضحاك وابن السائب. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة، ولا سيما أنجعلت اللام متعلقة بنفس فجعلهم، وهو قول الأخفش، أو بإضمار فعلنا ذلك لإيلاف قريش، وهو مروى عن الأخفش حتى تطمئنفي بلدها. فذكر ذلك للامتنان عليهم، إذ لو سلط عليهم أصحاب الفيل لتشتتوا في البلاد والأقاليم، ولم تجتمع لهم كلمة. قال الزمخشري: وهذا بمنزلة التضمين في الشعر، وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقاً لا يصح إلا به، وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل. وعن عمر: أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب، وقرأ في الأولين: والتين، والمعنى أنه أهلك أهل الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك، فيتهدبهم زيادة تهيب، ويحترمهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمنفي رحلتهم، انتهى. قال الحوفي: ورد هذا القول جماعة، وقالوا: لو كان كذا لكان لإيلاف بعض سورة ألم تر؛ وفي إجماع الجميع على الفصل بينهما ما يدل على غير ما قال، يعني الأخفش والكسائي والفراء، تتعلق بأعجبوا مضمرة، أياعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة رب هذا البيت، ثم أمرهم بالعبادة بعد وأعلمهم أن الله هو الذي أطعمهم وآمنهم لا آسفهم، أي فليعبدوا الذي أطعمهم بدعوة أبيهم حيث قال:

## {وَأَرْزُقُهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ}

، وآمنهم بدعوته حيث قال:

## {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا}

، ولا تشتغلوا بالأسفار التي إنما هي طلب كسب وعرض دنيا. وقال الخليل بن أحمد: تتعلق بقوله: {فَلْيَعْبُدُوا}، والمعنى لأن فعل الله بقريش هذا ومكنهم من إلفهم هذه النعمة. {فَلْيَعْبُدُوا}: أمرهم أن يعبدوها لأجل إيلافهم الرحلة. قال الزمخشري: فإن قلت: فلم دخلت الفاء؟ قلت: لما في الكلام من معنى الشرط، لأن المعنى: إمالا فليعبدوا لإيلافهم على معنى أن نعم الله عليهم لا تحصى، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لهذه النعمة الواحدة التي هي نعمة ظاهرة، انتهى. وقرأ الجمهور: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ}، مصدر آلف رباعياً؛ وابن عامر: لآلاف على وزن فعال، مصدر آلف ثلاثياً. يقال: آلف الرجل الأمر إلفاً وإلافاً، وآلفه غيره إياه إيلافاً، وقد يأتي آلف متعدياً لواحد كإلف، قال الشاعر:

## من المؤلفات الرمل أدماء حرة شعاع الضحى في متنها يتوضح

ولم يختلف القراء السبعة في قراءة إيلافهم مصدراً للرباعي. وروي عن أبي بكر، عن عاصم أنه قرأ بهمزتين، فيهما الثانية ساكنة، وهذا شاذ، وإن كان الأصل أبدلوا الهمزة التي هي فاء الكلمة لثقل اجتماع همزتين، ولم يبدلوا في نحو يؤلف على جهة الزوم لزوال الاستثقال بحذف الهمزة فيه، وهذا المروي عن عاصم هو من طريق الشمني عن الأعشى عن أبي بكر. وروى محمد بن داود النصار عن عاصم: إيلافهم بهمزتين مكسورتين بعدهما ياء ساكنة ناشئة عن حركة الهمزة الثانية لما أشبع كسرتها، والصحيح رجوع عاصم عن الهمزة الثانية، وأنه قرأ كالجماعة. وقرأ أبو جعفر فيما حكى الزمخشري: لإلف قريش؛ وقرأ فيما حكى ابن عطية الفهم. قال الشاعر:

## زعمتم أن إخوتكم قريشا لهم إلف وليس لكم إلاف

جمع بينمصدري ألف الثلاثي. وعن أبي جعفر وابن عامر: إلاف فهم على وزن فعال. وعن أبي جعفر وابن كثير: إلفهم علوزن فعل، وبذلك قرأ عكرمة. وعن أبي جعفر أيضاً: ليلاف بياء ساكنة بعد اللام اتبع، لما أبدل الثانية ياء حذفالأولى حذفاً على غير قياس. وعن عكرمة: ليألف قريش؛ وعنه أيضاً: لتألف قريش على الأمر، وعنه وعن هلال بن فتيان: بفتح لام الأمر، وأجمعوا هنا على صرف قريش، راعوا فيه معنى الحي، ويجوز منع صرفه ملحوظاً فيه معنى القبيلة للتأنيثوالعلمية. قال الشاعر:

## وكفى قريش المعضلات وسادها

جعله اسماً للقبيلة سيبويه في نحو معد وقريش وثقيف، وكينونة هذه للإحياء أكثر، وإن جعلتها اسماً للقبائل فجائز حسن. وقرأ الجمهور: {رِحْلَةٌ} بكسر الراء؛ وأبو السمال: بضمها، فبالكسر مصدر، وبالضم الجهة التيرحل إليها، والجمهور على أنهما رحلتان. فقييل: إلى الشام في التجارة ونيل الأرباح، ومنه قول الشاعر:

## سفرين بينهما له ولغيره سفر الشتاء ورحلة الأضياف

وقال ابن عباس: رحلة إلى اليمن، ورحلة البصرى. وقال: يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل، ويرحلون في الشتاء إلى مكة للتجارة وسائر أغراضهم. وقال الزمخشري: وأراد رحلتي الشتاء والصيف، فأفرد لأمن الإلباس، كقوله:

## كلوا في بعض بطنكم تعفوا فإن زمانكم زمن خميص

انتهى، وهذا عند سيبويه لا يجوز إلا في الضرورة، ومثله:

## حمامة بطن الواديين ترنمي

يريد: بطني الواديين، أنشده أصحابنا على الضرورة. وقال النقاش: كانت لهم أربع رحل. قال ابن عطية: وهذا قول مردود. انتهى، ولا ينبغي أن يرد، فإن أصحاب الإيلاف كانوا أربعة إخوة وهم: بنو عبد مناف هاشم، كان يؤلف ملك الشام، أخذ منه خيلاً، فأمن به فیتجارته إلى الشام، وعبد شمس يؤلف إلى الحبشة؛ والمطلب إلى اليمن؛ ونوفل إلى فارس. فكان هؤلاء يسمون المجبرين، فتختلف تجريريش إلى الأمصار بجبل هؤلاء الإخوة، فلا يتعرض لهم. قال الأزهري: الإيلاف شبه الإجارة بالخفارة، فإذا كان كذلك جاز أن يكون لهم رحل أربع، باعتبار هذه الأماكن التي كانت التجار في خفارة هؤلاء الأربعة فيها، وفيهم يقول الشاعر يمدحهم:

هلا نزلت بآل عبد مناف الآخنون

العهد من آفاقها

يا أيها الرجل المحول رحله

والقائلون هلمّ للأضياف والخالطون

غنيهم لفقيرهم

والراحلون لرحلة الإيلاف والرائشون

وليس يوجد رائش

فتكون رحلة هنا اسم جنس يصلح للواحد ولأكثر، وإيلافهم بدل من {إيلاف} وقُرَيْشٍ {، أطلق المبدل منه وقيد البدل بالمفعول به، وهو رحلة، أي لأن ألفوا رحلة تفخيماً لأمر الإيلاف وتذكيراً بعظيم النعمة فيه. {هَذَا أَلْبَيْتِ}: هو الكعبة، وتمكن هنا هذا اللفظ لتقدم حمايته في السورة التي قبلها، ومن هنا التعليل، أي لأجل الجوع. كانوا قطاناً ببلد غير ذي زرع عرضة للجوع والخوف لولا لطف الله تعالى بهم، وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام. قال تعالى:

## { يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ }

. {الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ} : فضلهم على العرب بكونهم يأمنونحيث ما حلوا، فيقال: هؤلاء قطان بيت الله، فلا يتعرض إليهم أحد، وغيرهم خائفون. وقال ابن عباس والضحاك: {الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ} : معناه من الجذام، فلا ترى بمكة مجذوماً. قال الزمخشري: والتنكير في جوع وخوف لشدهما، يعني أطعمهم بالرحلتين منجوع شديد كانوا فيه قبلهما، وآمنهم من خوف عظيم، وهو خوف أصحاب الفيل، أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم. وقرأ الجمهور: {مِّنْ خَوْفٍ}، بإظهار النون عند الخاء، والمسيبي عن نافع: بإخفائها، وكذلك مع العين، نحو من على، وهي لغة حكاها سيبويه. وقال ابن الأسدي يخاطب قريشاً:

بأركان هذا البيت بين الأخشب فعندكم  
منه بلاء ومصداق

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا

على العادقات في رؤوس المناقب فلما  
أتاكم نصر ذي العرش ردهم

غداة أبي مكسوم هادي الكتاب  
كثيبة بالسهل تمشي ورحلة

إلى أهله ملجيش غير عصائب

جنود المليك بين ساق وحاجب فولوا  
سراعاً هارين ولم يؤب